

الإنصاف مع المخالفين

(وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) البقرة : (111)

زعمت اليهود أن لا أحد يدخل الجنة سواهم ممن اعتنق عقيدتهم واتبع ملتهم ، واعتقدت النصاري نفس الاعتقاد فلا أحد - في نظرهم - يدخل الجنة إلا من شيعتهم وأتباعهم ، لكن الله كذبهم واعتبر ما صدر منهم (أمانى) فارغة يطلبها صاحبها ولا يدركها ، و أمر سبحانه نبيه الكريم - عليه الصلاة والسلام - أن يطالبهم بالبرهان (الحجة والدليل الساطع القاطع المقنع) على ما قالوا وزعموا إن كانوا صادقين . قال الزمخشري : ” هاتوا برهانكم : هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة إن كنتم صادقين في دعواكم، وهذا أهدم شيء لمذهب المقلدين، وأن كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت .. ” . تفسير الكشاف.

عجيب أمر هذا القرآن !! إنه يدعو إلى أعلى درجات **الإنصاف** وأسمى معاني العدل والاعتدال، وإلى الذوق الرفيع في مناظرة المخالفين مهما كانوا - حتى لو كانوا كفارا - و لو زعموا أمورا واعتقدوا عقائد في نظرنا - معاشر المسلمين - باطلة تافهة كاذبة لا قيمة لها !! كل ما هنالك (هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) .

إن **القرآن الكريم** يربي في أتباعه عقلية منصفة منهجية موضوعية متوازنة ، تعتمد الدليل والبرهان في الحجاج والمجادلة بالحسنى ، وتبتعد عن مجرد اتهام المدعي و المخالف أو المناظر ووصفه بالضلال والكفر والفسوق والسخافة .. الخ .

” علم القرآن أهله أن يطالبوا الناس بالحجة ؛ لأنه أقامهم على سواء المحجة . وجدير بصاحب اليقين أن يطالب خصمه به ويدعوه إليه ، وعلى هذا درج سلف هذه الأمة الصالح ، قالوا بالدليل وطالبوا بالدليل ونهوا عن الأخذ بشيء من غير دليل ، ثم جاء الخلف الطالح فحكم بالتقليد ، وأمر بالتقليد ، ونهى عن الاستدلال على غير صحة التقليد ، حتى كأن الإسلام خرج عن حده ، أو انقلب إلى ضده ، وصار الذين يعلمون أن الإسلام امتاز عن سائر الأديان بإبطال التقليد ، وبالمطالبة بالبرهان والدليل ، وعلم الناس استقلال الفكر ، مع المشاورة في الأمر ، يطالبون المسلمين بالرجوع إلى الدليل ، ويعيبون عليهم الأخذ بقال وقيل ، ويا ليتة كان الأخذ بقال الله ، وقيل فيما يروى عن رسول الله ، ولكنه الأخذ بقال فلان وقيل عن علان.. ” **تفسير**

المنار.



إن القرآن الكريم - دستور ومنهج الحياة - ليفرق بين تقرير الحقائق وتقرير الحقوق ، فلكل منهما باب ومدخل ومبحث ، فحقيقة أننا - معاصر المسلمين - على **الصراط المستقيم** والبصيرة الواضحة ، وأن ديننا الحق الذي لا شك فيه ولا ريب ، و أن مخالفنا في ضلال مبين وجهل مستحكم ، لا ينفي أن يكون لهذا المخالف حقوق تستوجب الأخذ بها والتزامها من قبل أتباع الرسالة السمحاء ، ومن بين هذه الحقوق و أشرفها احترام ذات المخالف ومشاعره وكيانه ، ومراعاة آدبيات النقاش والحوار معه ، ومجادلته باللين وأخذه بالقول الحسن لعله يتذكر أو يخشي . فهؤلاء القوم - مدار حديث الآية - هم أنفسهم الذين قال الله فيهم (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ) البينة : 6 . ولم يمنع ذلك احترامهم و مناقشتهم بالدليل و مطالبتهم بالبرهان ومجادلتهم بالحسنى .

والمحزن في الأمر : أنك ترى اليوم مسلمين يتناظران في أمر شرعي فقهي ، أو فكري لا يتعدى كونه وجهة نظر في أمر من أمور فروع الدين لا من أصوله ، والذي يقبل في مثله الاجتهاد وتعدد الآراء ، فتسمع عبارات التشنيع والتبشيع على المخالف ، ووسمه بالضلال و الفسوق - وربما الكفر - أو الغباء وقلة العقل أو سوء النية وخبث الطوية وقائمة اتهامات لا حصر لها ! . والمفروض أن يكون شعارهم (هاتوا برهانكم) بعيدا عن كل هذا . فهم الأولى بها والأحرى باتباعها مع المخالفين من أتباع دينهم و أبناء عقيدتهم وجلدتهم .